

أضواء البيان

@ 445 @ .

ومما أطرده فيه هذا التوجيه سورة الضحى ، يقول ﷻ تعالى : { وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } ، فإن المقسم عليه عدم تركه صلى ﷻ عليه وسلم ولا التخلي عنه ، فجاء بالمقسم به قسمي الزمن ليلاً ونهاراً ، كأنه يقول له : ما فلاك ربك ولا تخلى عنك ، لا في ضحى النهار حيث تنطلق لسعيك ، ولا في ظلمة الليل حين تأوي إلى بيتك . . .

ومعلوم ما كان من عمه أبي طالب حينما كان يجعله ينام مع أولاده ليلاً ، حتى إذا أخذ الجميع مضاجعهم يأتي خفية فيقيمهم من مكانه . ويضع أحد أولاده محله ، حتى لو كان أحد نواه بسوء ، وقد رآه في مكانه الأول يصادف ولده ، ويسلم رسول ﷻ صلى ﷻ عليه وسلم . . . وقوله : { وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } ، أي من كل ما طلعت عليه الشمس وسجاه الليل . . .

ومنه أيضاً : وهو أشد ظهوراً في سورة العصر قال تعالى : { وَالْعَصْرِ إِذْ أَنْشَأَ نَسَانَ لَفِئٍ خُسْرٍ إِلَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا } ، إلى آخر السورة . فإن المقسم عليه هو حالة الإنسان ، الغالية عليه من خسر ، إلا من استثنى ﷻ تعالى ، فكان المقسم به ، والعصر المعاصر للإنسان : طيلة حياته وهو محل عمله ، الذي به يخسر ويربح . وهو معاصر له وأصدق شاهد عليه . . .

وكنت قد سمعت من الشيخ رحمة ﷻ تعالى علينا وعليه يقول : إن العمر وزمن الحياة حجة على الإنسان كالرسالة والندارة سواء ، وذكر قوله تعالى : { أَوَلَمْ نُنْعِمْ بِرُكُومٍ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَ كُومُ الذِّكْرِ } ، فجعل في الآية التعمير ، وهو إشغال العمر موجباً للتذكر والتأمل ، ومهلة للعمل ، كما تخبر إنساناً بأمر ثم تمهله إلى أن يفعل ما مر به ، فهو أمكن في الحجة عليه . . .

فكان القسم في العصر على الربح والخسران ، أنسب ما يكون بينهما ، إذ جعلت حياة الإنسان كسوق قائمة والسلعة فيه العمل والعامل هو الإنسان . كما قال تعالى : { هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ } . . . وفي الحديث الصحيح عند مسلم : (سبحان ﷻ تملأ الميزان ، وفيه كل الناس